Coptology

# المرأة والتناول،
# وما غاب من الاتهامات طوال أربعين عاماً

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

## صفحة مجهولة:

لم يكن كتاب الأب الراهب يوئيل المقاري هو أول ما صدر في هذا الشأن، بل كان أحد حلقات حوار بدأ في مؤتمر دولي عُقد بمقر دير الأنبا بيشوي في وادي النطرون عام ١٩٧٩ نظَّمه مجلس كنائس الشرق الأوسط مع مجلس الكنائس العالمي، وهيئة اليونسكو. حضر المؤتمر سيدات من مصر – لبنان – سوريا – العراق – فلسطين – السودان. كان أحد المساهمين هو المطران جورج خضر مطران جبل لبنان، وحضر كل حلقات المؤتمر المتنيح الأنبا شنودة الثالث.

أعقب ذلك مؤتمرٌ آخر عالمي عُقد في بيروت في نفس السنة، فقد كان عام ١٩٧٩ هو العام الدولي للمرأة. تقدَّمتُ بدراسة مطوَّلة بالعربية والإنجليزية، فقد حضرتْ وفودٌ من الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا وقبرص واليونان، بجانب الذين جاءوا من الدول العربية. وطُبِعَ البحث الذي قدمته، ثم نُشر في القاهرة بعد ذلك بعنوان: **تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية**. شمل البحثُ مسحاً شاملاً من العصر الرسولي حتى القرن العاشر وما تلاه، ثم نُشِر هذا البحث فيما بعد على موقع الدراسات القبطية، ثم نشرته دار جذور في عام ٢٠١٣ بالقاهرة.

كانت تداعيات هذه الدراسة أن عقد الأنبا شنودة جلسة محاكمة في استراحة دير الأنبا بيشوي حضرها كلٌّ من المتنيح الأنبا يؤانس أسقف الغربية – الأنبا

باخوميوس أسقف البحيرة – الأنبا بيشوي أسقف كفر الشيخ – المتنيح الأنبا ثاؤفيلوس أسقف دير السريان. كانت النية والقصد هو قطع رأسي، وكان الاتهام يشمل حسب ادعاء الأنبا شنودة نفسه أن تناول المرأة أثناء الدورة الشهرية يجعل دم الرب يسوع "ينزل في دورة المياه"، وهو ادعاءٌ غريب، يترتب عليه أن يتحوَّل الاتهام الموجَّه إليَّ إلى اتهام للأنبا شنودة الثالث نفسه بما يعني أنه لا يفهم صلوات القداسات التي يرددها على الأقل مرة واحدة في الأسبوع. حيث تقول تلك الصلوات إننا نحن الذين نتحول إلى المسيح رب المجد الجالس على الشاروبيم[1]، لا المسيح هو الذي يتحول فينا إلى عنصرٍ ترابي مائت؛ لأن ما هو عكس ذلك، ينفي تماماً أن الرب قام بلا فساد: "لا تدع قدوسك يرى فساداً" (أع ٢: ٢٧).

وسيراً على ذات الدرب تطوع الأنبا بيشوي بفتوى مؤداها عدم التبرع بدم الأقباط للمسلمين لأن دم الأقباط يحتوي على دم المسيح، وكان يرى أن يصدر قرار من المجمع المقدس بهذا الشأن. فطلبت منه أن يذكر هذا كتابةً، ولما بدأ بالكتابة، قال له الأنبا شنودة، وكان أكثر ذكاءً "اسأله هيعمل أيه بالورقة؟ وقلت له: سوف أنشرها في جريدة الأهرام، باعتبارها اتهاماً بخيانة الوطن وتمزيق الوحدة الوطنية على أساس خرافة سائدة؛ لأن دم المسيح ليس سحراً يعمل بدون الإيمان، ولا هو تعويذة سوف تجعل المسلم مسيحياً إذا نُقِلَ ليه دم القبطي .. ولم تتم مناقشة كتاب "تطور النظرة"، وكان العنوان اللبناني: "المرأة في التراث الشرقي". طبعاً سوف لا نعدم من يُكذِّب هذه السطور. ولكن تلك هي حقيقة ما حدث بالضبط.

## الأساس اللاهوتي الغائب:

طبعاً، لكي يبرر الأنبا شنودة موقفه مني منعني من التدريس موحياً بذلك أنه على حق، ولم أُعد إلى التدريس إلا بعد أن اختلف مع الأنبا غريغوريوس، وشعر بأنه

---

(١) لاحظ أن تعبير "الجالس على الشاروبيم" هو تعبير الليتورجية القبطية.

يحتاج إلى مساندتي. ليست هذه كلها من الإيمان، ولا من العقيدة، بل هي كلها مشاعر نفسية وثقافة جهل بالتراث، وسلطة لا تستند إلى المعرفة، بل إلى عكاز أسود طويل لا معنى له بالمرة.

وإذا كان لنا أن نشير إلى ما غاب عن هذا الحوار بكل دقة (مطلوبة من الجميع)، يمكننا أن نعدد ما يأتي:

## أولاً: أبدية نعمة السرائر

وهي نعمة: التبني والتجديد الأبدي لكيان الإنسان، وهو ما نناله جميعاً في سر المعمودية ومسحة الميرون.

لقد أدرك نيافة الأنبا أبيفانيوس أسقف دير الأنبا مقار -بالحس الروحي- أن أفضل مقدمة لكتاب المرأة والتناول هي صلاة من القداس الكيرلسي، وهي في تراثنا الأرثوذكسي تغني عن القول؛ لأننا نتقدس بالاتحاد بالرب في سر الإفخارستيا، طالما أن سر المعمودية وسر الميرون كلاهما غاب من الوعي المعاصر.

فهل بعد الاتحاد بالرب في سر الانضمام إلى المسيح وإلى جسده، وهي الأسرار الثلاثة: المعمودية – المسحة – الإفخارستيا، هل ما نزال تحت سلطان وهيمنة العهد القديم برمته، لا سيما شرائع الاغتسالات، والتي هي بالمناسبة، تشمل الرجل والمرأة معاً، لا المرأة وحدها؟ الإجابة عند بعض الذين حضروا محاولة محاكمتي، هي: نعم، شريعة العهد القديم قائمة علينا وضدنا، وبذلك يصبح كل ما جاء في رومية – غلاطية – كولوسي — العبرانيين، هو بلا قيمة، ولا يوجد من يسمعه، بل لا جدوى من إعادة كتابة ما ذكره رسول الرب بالمرة عن العهد الأول الذي زال برمته؛ إذ لا يوجد "زمان تجديد" حسب قول الرب نفسه عن عهده الجديد، أو "زمان إصلاح" حسب قول رسول الرب بولس (عب ٨: ١٠).

لا يوجد عهدٌ جديد في وعي الذين يعودون إلى العهد القديم، أو حتى إلى بعض مقاطع في قوانين كنسية لم تُقبل مسكونياً، فليست القضية هي نصوص مهما كانت، بل القضية الأكبر والأبدية هي:

* الأساس الجديد لحياة جديدة أبدية في المسيح يسوع ربنا.

* يسوع هو القيامة.

* يسوع هو الحياة.

* يسوع هو البكر الوارث الذي أدخلنا ميراث الآب (رو ٨: ١٧)، منه نولد وبه نصلب وندفن ونقوم في المعمودية (رو ٦: ١-٨)، وهذا ليس من الشريعة الموسوية، بل من محبة وصلاح الله الآب (يوحنا ٣: ١٦).

## ثانياً: غاب يسوع وحل محله شريعة موسى

فقد غاب الأساس الأبدي وحل محل الأساس الأبدي: الإفرازات الجسدية – أحوال الجسد الترابي المعد للمجد الأبدي في يسوع لكي يقوم كما قام يسوع (فيلبي ٣: ٢١)؛ لأننا سننال ذات الجسد بلا فساد بعد أن أخذنا العربون.

هؤلاء لا يؤمنون بتحول الإنسان في المسيح، وهو لُب الصراع ضد الأب متى المسكين، وهو لُب التمسك والإصرار على البقاء تحت قيادة موسى، وكأن يسوع لم يحقق شيئاً لنا، ولم يتم تجديد الإنسان، وكأن المعمودية – المسحة – الإفخارستيا ليس لها قيمة أبدية؛ لأن قانون الطبيعة (الإفرازات الجسدية) قادر على أن يوقف ويمنع ما يوهب بالنعمة.

هكذا ضاعت الأسرار الثلاثة في وسط الصراع حول التاريخ القديم، ولكن مَن ذا الذي يمكن أن يقول إن يسوع هو تاريخ قديم يمكن أن يُسجن في التوراة؟

وهكذا ضاع التبني الأبدي في خضم الدفاع عن شريعة الموت (والاسم هو للرسول بولس في ٢كو ٣: ٧)، تلك التي جاءت معها دينونة الإنسان، وجاء معها الموت، وبها أصبح للموت اليد الطولى. لهذا قال رسول المسيح: "كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة قد حصلت في مجد لم يقدر بنو اسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى بسبب مجد وجهه الزائل"، ثم "إذا كانت خدمة الدينونة مجداً، فبالأولى كثيراً تزيد خدمة البر في مجد؛ لأن "الزائل" (وهو اسم خدمة العهد القديم كلها التي قال نفس الرسول إن الرب نفسه هو الذي سوف ينزعها) "ينزع الأول (العهد القديم) لكي يثبت الثاني (العهد الجديد) (عب ١٠: ٩). بل في عبارة أقوى عن العهد الجديد: "فإذا قال جديداً عتق الأول. وأما ما عتق (صار قديماً) وشاخ فهو قريب من الاضمحلال (عب ٨: ١٣).

## ثالثاً: غياب الوعي بتقديس الجسد:

دُهشت لإنكار العهد الجديد وإنكار التقديس؛ إذ يقول أحد المعترضين المأجورين والذي لا زال تحت شريعة موسى، إن رسالة القديس أثناسيوس إلى آمون الراهب لم تذكر العادة الشهرية، كما قال آخر إنها لم تذكر التناول من جسد الرب ودمه.

والسبب الأول للدهشة هو أن كليهما يريد فتوى قاطعة مفصلة.

والسبب الثاني يفوق الأول، وهو أن الكلام الإلهي عن تقديس الجسد لا يدخل في تفاصيل الافرازات مهما كانت، وذلك للأسباب الآتية:

**١**– لأن قانون الطبيعة لا يغلب ولا يتفوق على النعمة الإلهية.

**٢**– لأن التقديس هو هبة الروح القدس، وهو من روح القداسة نفسه، وهو ليس خاضعاً لأي قوة في الطبيعة المخلوقة بسببٍ غاب في حمى النقاش، وهو أن الله لا

يأخذ قداسته التي يشارك الإنسان فيها من آخر، بل هي طبيعة الله. وعندما يكتب الرسول أننا نؤدَّب لكي "نشترك في قداسته" (عب ١٢: ١٠)، فهو يعني بالتأكيد شركة الروح القدس (٢كو ١٣: ١٤)، فهي ليست شركة في طاقة أو قوة مخلوقة، بل نحن شركاء في الجسد وشركاء في شكل (المسيح) وشركاء في خلافة أو ميراث المسيح (صلاة خضوع قبل التناول) ولذلك يطلب الكاهن: طهِّر إنساننا الداخل ⲉⲧⲥⲁϧⲟⲩⲛ كطهر ابنك الوحيد هذا الذي نضمر أن نأخذه" (صلاة خضوع قبل التناول).

والسبب الثالث لتلك الدهشة هو عدم الوعي بأن يسوع نفسه الذي صار "بكراً بين أخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٩)، يصير -بذلك- تحت حكم الشريعة الموسوية، لأننا عندما نصير جسداً واحداً وروحاً واحداً معه، يصبح هو نفسه ليس رب المجد ينبوع التقديس حسب صلواتنا، بل عبداً ساقطاً تحت أحكام الشريعة الموسوية!!!

## هل يمكن أن يكون هناك طرفاً ثالثاً يدخل في العلاقة بين المرأة والثالوث؟

لم تعرف المسيحية الأرثوذكسية هذا الترتيب غير المسيحي وغير الكنسي الذي يجعل من إنسانٍ ما موجهاً ووليِ أمر وصاحب سلطة ومقرر حياةٍ لآخرين. وهنا، نحن نرى أن هؤلاء الآخرين هم -على الأقل- نصف مجموع الكنيسة، أي النساء، على اعتبار أن عدد النساء يساوي عدد الرجال تقريباً. وهؤلاء النساء هم أعضاء الجسد الواحد الكنيسة، الذي لا مكان بالمرة فيه لتفرقةٍ بين رجلٍ وامرأة: "ليس ذكراً ولا أنثى". فإذا سقط عدم التمييز هذا بين الرجل والمرأة، سقط تماماً العهد الجديد نفسه (راجع غلاطية ٣: ٢٣-٢٩)، حيث يذكر الرسول: "كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح ليس يهودي ولا يوناني (سقط التمييز العرقي Ethnic ليس ذكر ولا أنثى (سقط التمييز على الأساس البيولوجي Gender لأنكم جميعاً واحد (جسد واحد، وهو ما تعطيه المعمودية بصريح العبارة)؛ لأننا جميعاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحرار وجميعنا سقينا روحاً واحداً" (١كو ١٢: ١٣ مع غلاطية ٣: ٢٨). هكذا يمزَّق الجسد الواحد.

من هذا الذي يمكنه بعد ذلك أن يدَّعي أن شـــريعة موســـى، أو وظـــائف الأعضاء تدخل طرفاً ثالثاً في العلاقة بين المرأة والثالوث؟!!

لو حدث أن تجاهَل أو أنكر قانونٌ كنسي نعمةَ التبني، فهذا القانون عندئـــذٍ يكون قانوناً غير مسيحي. ولو تعدَّى كاتبٌ مسيحيٌّ على نعمة الثالوث، ووضـــعها تحت سلطان الشريعة الطبيعية، وجعل الفساد يعلو على القيامة التي أخذنا عربونها هنا، فليعلم أنه يجهل أنه ينتمي إلى حركة التهود التي عـــادت إلى الظهـــور منـــذ العصـــر الرسولي، ووجدت في الثقافة السائدة في المجتمع نظرة دونية Demeaning لصـــورة الله المفتداة في المسيح.

## الخلقة الجديدة في المسيح:

في حديث استغرق أكثر من ثلاث ساعات في مقر الأب متى المســـكين (في استراحة الدير بالكيلو ٧٠)[١] قلت للأب متى: إن عدم الوعي بمكانـــة الإنســـان في المسيح هو الذي جعل سكين الحرمان والقطع مسلطة على رقبته طوال أيـــام حياتـــه. ودار حديثٌ مع بعض الرهبان حول كتاب الخلقة الجديدة، وكانت الطبعة الأولى قـــد وُزِّعت، وتجمهر عددٌ من الرهبان الـــذين لم يشـــربوا روح الرهبنـــة، ولا اســـتلموا الأرثوذكسية في مقر الضيافة حيث كنت أتعشى، وكان الحوار كله حول الكتـــاب، وأذكر جيداً أن الراهب المقاري سرجيوس هو الذي أحضر كتاب خدمة سر المعمودية لكي نقرأ معاً ماذا تقول الصلوات، وطال الحوار حتى الثالثة صباحاً عندما دق جـــرس صلاة نصف الليل.

فقد بات من الواضح أن الكيان البيولوجي الطبيعي أصبح هو أساس الحياة، لا

---

(١) غفر الله للراهب سرجيوس المقاري الذي رفض أن يعطي لي نسخة من شرائط الكاسيت التي تم تسجيل هذا الحديث عليها.

الكيان الذي نال التجديد في المسيح، وهذا يشرح سبب التمسك بشريعة موسى.

الخلقة الجديدة ليست إفرازاً طبيعياً من الطبيعة المخلوقة من العدم، بل هي حسب صلواتنا:

- "أنت دعوت عبيدك من الموت إلى الحياة.

هب لهم خلاصاً أبدياً

وَلِدْهم مرة ثانية بحميم الميلاد الجديد ومغفرة الخطايا

أعدَّهم هيكلاً لروحك القدوس بابنك الوحيد".

ثم

- عرِّهم من عتيقهم

جدد حياتهم

اِملأهم من قوة روحك القدوس

بوحدانية وعزاء ابنك الوحيد (أي ليكونوا واحداً مع ابنك الوحيد ويمتلئوا من ذات الروح الذي ملأ يسوع (لوقا ٤: ١).

ولاحظ:

- لكي لا يكونوا بعد أبناء الجسد، بل أبناء الحق (الحق هو الثالوث، وهو اسم الرب يسوع نفسه.

ثم

- هيئ نفوسهم لكي يقبلوا روحك القدوس

وليستحقوا حميم الميلاد الجديد

واللباس غير الفاسد (الذي لا يمكن أن تبيده إفرازات الجسد).

إذ تعدهم هيكلاً لروحك القدوس".

وهل يوجد أعظم من هذا:

- "يصيروا حلة نورانية - أبناء النور – وارثين الملكوت – يحفظوا اللباس بغير اضمحلال.

وفي مسحة الروح القدس تقول الصلوات:

- "دهن شركة الحياة الأبدية غير المائتة".

هذه هي ذات الكلمات الخاصة بالشركة في حياة الله الثالوث؛ لأنه لا توجد حياة أبدية أخرى غير حياة الله. ووصف هذه الحياة بـ "غير المائتة" هو الاسم الطقسي، أو الخدمة الليتورجية: "قدوس الذي لا يموت"، إنها مسحة التأله؛ لأن بعدها: "مسحة مقدسة للمسيح إلهنا". هي ذات مسحة يسوع حسب شهادة يوحنا الإنجيلي: "أنتم لكم مسحة من القدوس .. والمسحة التي أخذتموها منه (واعوجاج ترجمة فان ديك هو اعوجاج مذهبي؛ لأننا لم نأخذها "منه" حسب ترجمة فان ديك، بل "فيه":

Ἐλάβετε ἀπ αυτού ἐν ὑμίν

(يوحنا ٢: ٢٠ و٢٧)، وهو نفس تعبير القديس أثناسيوس الرسولي: "لأجلنا قدس ذاته وفعل هذا عندما تأنس، ومن الواضح أن نزول الروح عليه في الأردن كان نزولاً علينا لأنه أخذ جسدنا" (ضد الأريوسيين ١: ٤٦). وحسب تعليم تلاميذ

موسى، هذا كله يسقط بسبب عمل وظائف الأعضاء. لكن في مسحة المسيح ينقل إلينا التسليم الكنسي:

- "مسحة مقدسة للمسيح الهنا".

ثم:

- "وخاتم لا ينحل".

وأخيراً بعد الرشومات:

- "كن إناءً طاهراً بواسطة يسوع المسيح ربنا".

ولكن حسب تعليم تلاميذ موسى تنقضي هذه الطهارة التي وُهِبت من المسيح بوظائف الأعضاء.

هل توجد مأساة ومصيبة أعظم من أن تُهدم النعمة الإلهية بوظائف الأعضاء؟

# مقدسون بإرادة يسوع المسيح

## (عب ١٠: ١٠)

يقول رسول رب المجد بعد أن شرح عدم فاعلية ذبائح العهد القديم، وكيف لم يُسر بها الله (عب ١٠: ٤-٩) أن هذا جاء بأعظم عطية إلهية.

"فبهذه الإرادة -إرادة يسوع- نحن مقدسون بتقديم جسد المسيح مرة واحدة". لقد قدم المسيح ذاته مرة واحدة حسب إرادة الآب (عب ١٠: ٩). وقوة التقديم في أنها نزعت الموت والدينونة، ثم صار لنا تقديساً. فما هو التقديس الذي ورد

على الأقل ٨٤٢ مرة في أسفار العهد القديم:

**أولاً: التقديس في العهد القديم:**

**١**– هو التخصيص لخدمة الرب مثل ملابس كهنة العهد القديم والمذبح (خروج ٢٩: ٢١) وكل ما له صله بالذبائح (لاويين ٦: ١١ – تثنية ٢٢: ٩)، وهو تخصيص وافراز ما يخص خدمة الرب.

**٢**– الله "قدوس"، وهو نفس المعنى بأنه ليس مثل كل الأشياء أو الكائنات هو Unique لا مثيل له ولا شبيه له خاص على نحو لا يمكن أن يعمل الانسان له صورةً أو تمثالاً، وهو ما ورد في (خروج ٢٠: ٤١ – ٢٨: ٢٢ – ٣٦: ٢٣ – ٣٨: ١٦ – ٣٩: ٢٧ وبالذات (أش ٦: ١ وبعده).

**٣**– السبت مقدس له يوم خاص أُفرز للراحة والعبادة (تك ٢: ٣ – خروج ٢٠: ١١).

**٤**– يتقدس للرب (يشوع ٢٠: ٧) أي لخدمة الرب (عدو ٣: ١٣ – ١ ملوك ٩: ٧.

**الصفة "قُدس"، "وقدوس"**

القدس في الهيكل (لاويين ١٩: ٨)، بل دم ذبيحة الخطية التي توصف بأنها "قدس أقداس" (لاويين ٦: ٢٤) ثم "كل من مس لحمها يتقدس" (٦: ٢٧).

**ثانياً: التقديس في العهد الجديد:**

**١**– أولاً في العهد الجديد القداسة هي حياة الثالوث. الآب القدوس (يو ١٧: ١١ مع ١بطرس ١: ١٥). وتقديس اسم الرب في الصلاة الربانية (متى ٦: ٩ – لوقا

١١: ٢٢) يعني أن يُذكَر اسم الرب خصوصاً في الصلاة والأمانة والحق، وليس في المعاملات العامة الاجتماعية.

**٢**– المسيح قدوس (مرقس ١: ٢٤ – لوقا ١: ٣٥ – يوحنا ٦: ٦٩ – ١ يوحنا ٢: ٢٠ – أع ٣: ١٤).

**٣**– روح القداسة أو الروح القدس، وهو أكثر الأماكن استخداماً لكلمة قدس وقدوس ولذلك تركنا الشواهد.

**٤**– الكنيسة المقدسة، هي مثل هيكل العهد القديم، ولكنها الآن من البشر، ولذلك لم تظهر الألسنة في يوم العنصر إلا على البشر، وامتلأ البشر من الروح القدس (أع ٢: ١-٤)، ولذلك دُعيت الكنيسة كما دعي شعب العهد القديم "جنس مختار وكهنوت ملوكي" (١بطرس ٢: ٩)، ولأن الكنيسة هي جسد المسيح (١كو ١٢: ١٢-١٣)، فحلول الثالوث في الكنيسة "نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم قديسين (حرفياً قدوسين)" (١ بطرس ١: ١٥-١٦).

والكنيسة غُرست في أصل مقدس (الشعب القديم) (رو ١١: ١٦) وهي أغصان الزيتونة الجديدة، ولذلك عند دعوة الموعوظين تقول صلوات المعمودية: "أدهنك يا ( ) باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، زيت عظة (لفلان) في كنيسة الله الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية.

وإلى كنيسة كورنثوس التي كانت تعاني من الانقسام والسلوك الرديء يكتب رسول الرب: "إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح يسوع المدعويين قديسين ..." (١كو ١١: ٢)؛ لأن الذي قدس الكنيسة هو حلول الروح القدس فيها "اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا (١كو ٦: ١١)، ولذلك يقدم الرسول الكنيسة قربان لله الآب بالروح القدس حسب (رو ١٥: ١٦).

بعد أن صالحنا الرب وجاء بنا إلى الحياة الأبدية وهدم كل عائق أمامنا (أفسس ٢: ١١ – ١٨) نحن أنفسنا صار لنا قدوم أو دخول "في روح واحد إلى الآب" ولذلك "لسنا بعد غرباء وأجانب، بل شعب واحد مع القديسين وأهل بيت الله (لسنا بيت يعقوب بل بيت الله) لأننا بكل جسارة حسب نعمة الله صرنا "مسكناً لله في الروح" (أفسس ٢: ١٩-٢٢) والله لا يسكن في مواهب بل "في الروح".

## تقديس الكنيسة الدائم:

من كثرة الحديث عن الخطية طوال ٤٠ عاماً كدنا ننسى أن التقديس دائم، وأن طلبة المزمور الـ ٥٠ "اغسلني" ليست كلمة جوفاء، بل لقد أسلم الرب نفسه لأجل الكنيسة "لكي يقدسها مطهِّراً إياها بغسل الماء (المعمودية) بالكلمة (الاستنارة وهي عمل الروح بالكلمة) لكي يحضرها (عمل دائم) لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب" (أفسس ٥: ٢٦). بينما يذكرنا ذهبي الفم: "هو (المسيح الرب) لم يغسلها فقط، بل زيَّنها وجعلها مجيدةً، فلم يعد فيها بقعة وسخ ولا جلد مجعد (الشيخوخة) أو شيء من هذا" (عظة ٢٠ على أفسس ٥: ٢٧).

وقد فسر العلامة أوريجينوس النص بأنه خاص بالجمال، وقال: "بلا دنس ولا بقع (شامة أو ندبة أو mole) وهي التي تظهر على الجسد مثل بقع سوداء" (شرح أفسس R. E. Heine, p237)؛ لأننا مختاري الله القديسين المحبوبين (كولو ٣: ١٢) لأن الله ذاته أنقذنا من سلطان الظلمة وأهَّلنا لشركة ميراث القديسين (الحياة الأبدية) في النور (يسوع) الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته (كولوسي ١: ١٢-١٣).

## شركة قداسة الروح القدس:

كان الابن البكر يُدعى "قدسٌ" للرب (خروج ١٣: ٢)، والذين دُعُوا لخدمة الرب "قُدِّسوا من البطن" مثل أرميا (١: ٥)، ولكن في العهد الجديد تأتي دعوة الله الآب لنا لكي "يتصور أو يتكوَّن المسيح فينا" (غلا ٤: ١٩)، وعن تكوين المسيح فينا، وهو أعظم بكثير من دعوة ارميا أو ميلاد بكر إسرائيل، يقول كيرلس عمود الدين:

"المسيح يتكون أو يتصور فينا لأن الروح يغرس صورته الإلهية بالتقديس والتبرير لأن الروح القديس يجددنا، فهو يطبع صورة الله الآب على نفوسنا" (على أشعياء ٤: ٢ مجلد ٧٠: ٩٣٦). وطبع الصورة الالهية فينا هي العمل الإلهي نفسه، فيقول: "إن الروح القدس سكن في نفوس أولئك الذين يؤمنون بالروح الحقيقي نفسه والذي بواسطته (الروح) يقودهم إلى صورتهم الأولى أي أنه يجعلهم مشابهين له (للروح) عندما يقدسهم لأنه يعيدنا إلى صورتنا الأولى، أي إلى ختم الآب. ومن جهة الدقة في التعبير، وحدة الجوهر لأن الابن ذاته هو الختم الحقيقي، ولأن الروح القدس نفسه هو شبه واضح وطبيعي للابن والذي نتغير نحن بالتقديس بواسطته أي لنأخذ صورة الله (غلا ٤: ١٩)" (الحوار السابع مجلد ٧٥: ٥٩٧).

## لماذا ندعى هيكل الله؟

يجيب القديس كيرلس: "لأننا لسنا شركاء نعمة مخلوقة، لا كيان حقيقي لها، بل لأننا هياكل للروح الحقيقي الكائن، ولهذا فنحن ندعى آلهة لأنه من خلال اتحادنا به (بالروح) نصبح شركاء الطبيعة الإلهية غير الموصوفة" (المرجع السابق).

وبعد، لعل كلمات القديس كيرلس تكفي لرد تلاميذ موسى إلى بركة الإنجيل: "يقينا لا يرسم الروح القدس فينا الصورة الالهية كما يرسم أي رسام؛ لأن الرسام ليس هو الصورة التي يرسمها، فالروح لا يعطي لنا صورة الله كما يفعل رسام،

بل لأن الروح ينبثق من الله فهو يطبع ذاته بنحو غير منظور على قلوب الذين يقبلونه كما يطبع الختم شكله على الشمع، فهو بالشركة وكمثال قداسته يطبع طبعنا مجدداً إياها إلى جمالها الأول خالقاً الإنسان من جديد كصورة الله.." (الكنوز ٣٤: مجلد ٧٥: ٦٠٩-٦١٢).

## ما هي القضية الحقيقية؟

في الأخير، إذا أردنا أن نلفت النظر إلى الخطورة الحقيقية الكامنة وراء هذا الجدل -الذي يبدو أنه لن ينته في المستقبل المنظور- فإننا نقول بمنتهى الوضوح إن القضية الحقيقية:

**١**- ليست هي تناول المرأة، بل هي فاعلية سر التناول نفسه، أي تلك القوة والنعمة التي لا تنتهي أمام عمل وظائف الأعضاء الإنسانية، وبالتالي استخدام الحياة الإنسانية لضرب وتدمير سر الإفخارستيا.

**٢**- تحقير النعمة الإلهية لكل السرائر من أول المعمودية حتى الكهنوت نفسه؛ لأن نعمة الكهنوت تفقد فاعليتها بعدم طهارة الكاهن نفسه، ولذلك تصبح السرائر طقوساً تخضع لمؤهلات الإنسان لا لعمل الله الواهب الكل في يسوع المسيح بالروح القدس، وبالتالي يسقط العهد الجديد برمته.

هكذا يريد هؤلاء إعادتنا إلى الخليقة القديمة، فلا سرائر، ولا سكنى للروح القدس، ولا تقديس، ولا اتحاد بالرب، ولا عودتنا إلى جمالنا الأول، حيث لا زال السقوط كائناً .. وماذا نقول بعد كل الذي قلناه؟ إن ضمير الخطية الذي لم يتطهر بعد لا زال هو الحاكم العنيد (عب ٩: ١٤)، ولا زال لهؤلاء "ضمير خطايا" (عب ١٠: ٢) يريدون أن يجعلوه هو أساس كل شيء لكي يهدم نعمة التقديس ويلاشي الحياة الأبدية، ويمنع سكنى الروح القدس فينا، ومن ثمَّ لا تكون هناك فاعلية لسر الشكر لأننا نأخذ ناسوت الرب فقط .... فماذا تبقى لهؤلاء لكي يهدموه؟!!!